الإخبار عن الغيبيات وحكمة الإعجاز

إعداد

الدكتور
حسان علي عبد الفراجي
تدريسي
جامعة الآنبار/ كلية الآداب
قسم اللغة العربية
Hasan.ali@uoanbar.edu.iq
ISSN-2071-6028

ملخص البحث

هذا البحثُ يُسلِّطُ الضَّوْءَ على الغيبيات التي وردت في القرآن الكريم، ويُبْرِزُ مضامين الإعجاز التي يحتويها، وَمِنْ ثَمَّ يُفَنِّدُ قولَ بعضهم: إنَّ القرآنَ معجزٌ بطريقةِ نظمهِ ليس غير، ويعزو السَّبب في عدم إفاضة العلماء في وجوه الإعجاز الأُخرى إلى لغة العصر الذي كانوا يعيشون فيه، إذ كان الإعجاز البلاغي هو السَّائد عندهم في ذلك الحين.

والذي يُمَيِّزُ هذا البحث من غيره: الرَّبط بين النص والمضمون –أعني دلالة الآية على الإعجاز– وزيادةً على ذلكَ طريقة العرض والترتيب وبعض الإضافات كالتَّدْلِيلِ على الغيب الذي نَبَّهَ عليه القرآن في عدة آيات.

الكلمات المفتاحية : اخبار ، غيب ، مضامين

Abstract

The present paper sheds light on the supernatural references mentioned in the holy Quran to highlight their implications. Also, it attempts to refute the saying that the holy Quran is miraculous in its versification. The reason behind this is attributed to the unability of scholars to dive and explicate other phases of miracles into the language of the age they lived in as the rhetoric miracle was the dominant at that time.

What distinguish the present paper from other is the link between text and content, i.e. the reference of a line of Quranic verse to miracles. Moreover, the paper explores the way presentation and organization as well as other additions such as references to the supernatural the holy Quran has indicated in many lines of Quranic verse and so as.

Keywords: News, gib, contents

مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية ISSN-2071-6028

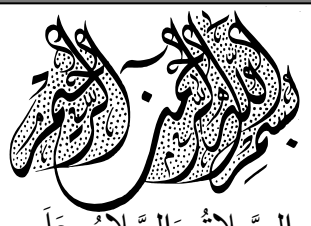

المقدمة

الْحَمْدُ للهِ مُلْهِمِ الصَّوَابِ، والصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَالآلِ وَالأَصْحَابِ، أما بعد... فالقرآن الكريم حوى بين دَفتيه أخباراً غيبية كثيرة، وهذا الكمُّ الهائل من الإخبار إنما يَدُلُّ على عظمة كتاب الله ﷻ وإعجازه، ويكون داعياً للعلماء أولاً وطلبة العلم ثانياً أن يتدبروا في هذه الغيبيات، ويستنبطوا منها مضامين الإعجاز؛ لأنَّ تلك الآيات تحدثت عن غيوب ماضية متجذرة في عمق التأريخ، لا يمكن لأيّ إنسانٍ عاديٍ أن يحيط بها علماً إلاَّ أن يكون مرسلاً من عند إله قادر محيط بكل تلك الغيوب إحاطة تامة، كما تطرقت تلك الآيات إلى فضح مؤامرات الكافرين والمنافقين في زمن نزول القرآن، ونبهت النبيﷺ والمؤمنين على كيد هؤلاء الحاقدين، وتطرقت إلى الإخبار عمَّا سيقع في المستقبل وما سيحل ببعض الكافرين، وقد تحقق كل ما أخبر عنه القرآن على وجه الدِّقة والتفصيل.

السبب في اختيار الموضوع

السبب المباشر في اختيار هذا الموضوع أنَني أردت أن أكتب بحثاً مفرداً يسلط الضوء على الغيب الذي لفت إليه القرآن بقوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، ومن ثمَّ إظهار المضامين الإعجازية في الأخبار الغيبية في القرآن الكريم التي لم تدرس بتوسع من قبل الباحثين.

أهمية الموضوع

تَكْمُنُ أهمية الموضوع من خلال كشفه عن مواطن الغيب بأنواعه الثلاثة ، وتبصيرنا به، ووضعنا في صورة واضحة إزاءه من خلال عرض شواهد ونماذج من الأخبار الغيبية في القرآن، ومن ثمَّ يزداد إيمان المؤمن بربه وتزداد صلته بخالقه، هذا بالنسبة إلى المسلم، أمَّا غير المسلم فإنه سيكون متيسراً له التعرف من كثب إلى الإعجاز الغيبي في القرآن، والذي ربما لا يستطيع أنَّ يقف عليه مَنْ يقرأ القرآن أول

(١) سورة البقرة، الآية ٣٣.

مرة ، إلاَّ إذا بُرِّزَت له بشواهد غيبية طرقت في القرآن وتحققت كما أخبر عنها.

خطة البحث

تضمن البحث مقدمة ذكرت فيها سبب اختيار البحث وأهميته، ومبحثين خُصِّصَ الأول منهما في كون الإخبار عن الغيب نوعاً من الإعجاز، وأُفرِدَ المبحث الثاني: في الحديث عن الإخبار عن الغيوب الماضية والحاضرة والمستقبلة ومضامين الإعجاز، يتصدره تمهيدٌ عن علم الغيبِ لله في جميعِ الأزمنةِ، وتطلب أن يقسم هذا المبحث على ثلاثة مطالب: تضمن المطلب الأول: الإخبار عن الغيوب الماضية ومضامين الإعجاز. وتضمن المطلب الثاني: الإخبار عن الغيوب الحاضرة ومضامين الإعجاز. وتضمن المطلب الثالث: الإخبار عن الغيوب المستقبلة ومضامين الإعجاز، ثم الخاتمة، والمصادر والمراجع .

المبحث الأول:
كون الإخبار عن الغيبيات نوعاً من الإعجاز

اتفق العلماء –رحمهم الله– على أنَّ إعجاز القرآن كائن في نظمه وبلاغته، وهذا مما لم أجد فيه خلافاً عندهم ، لكنهم اختلفوا فيما سواه من وجوه الإعجاز الأخرى كالإعجاز العلمي، والتشريعي، والعددي، والقصصي، أمَّا الإخبار عن الغيبيات وغيرها فهل تندرج هذه الوجوه في ضمن مضامين الإعجاز أو لا؟ انقسم العلماء على فريقين: فريق يرى أنَّ هذه الوجوه داخلة ومندرجة في ضمن وجوه الإعجاز؛ فلذلك صار الإخبار عن الغيبيات عند عامة أهل العلم نوعاً من الإعجاز وأصحاب هذا القول هم كثير من أهل العلم(١).

وذهب فريق آخر إلى خلاف ذلك: إذ قصروا الإعجاز على الجانب البياني ليس غير؛ لأنه هو الذي تحدى به دون الوجوه الأخرى. ومن الذاهبين إلى هذا الرأي الإمام عبد القاهر الجرجاني: ولذلك اشُتهرَ عنه القول «بنظرية النظم» بمعنى أنَّ القرآن معجزٌ بطريقة نظمه ، وممن وافقه من الباحثين المُحْدَثين الأستاذ محمود محمد شاكر فهو يرى أيضاً أنَّ الإعجاز كائن في رصف القرآن وبيان نظمه، ومباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم وبيان في لغة العرب ثم إن ما في القرآن من مكنون الغيب ومن دقائق التشريع ومن عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كان ما فيه من ذلك كله يعد دليلاً على أنه من عند الله تعالى(٢).

---

(١) ينظر: النكت في إعجاز القرآن، للرماني: ١٠١. وبيان إعجاز القرآن، للخطابي: ٢١. وإعجاز القرآن للباقلاني: ٣٣/١. والشفا، للقاضي عياض: ٢٦٨/١. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٧٤/١، ٧٥.

(٢) ينظر: الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، لعبد القاهر الجرجاني: ١٤١، ومقدمة كتاب الظاهرة القرآنية، لمالك بن نبي: ٣٠/١، ٣١ .

والذي يترجح لي أنَّ وجوه الإعجاز القرآني متعددة لا داعي إلى قصرها على جانب النظم فقط، فلا يستطيع أحد أن ينكر أهمية نظم القرآن فهو أعلى وجوه الإعجاز، لكن من غير الصحيح أن نقصر الإعجاز عليه ونهمل الوجوه الأخرى، أمَّا لماذا لم يفيض العلماء القدامى في هذه الوجوه وأفاضوا في الجانب البلاغي؟ فجوابه والله أعلم أنَّ ذلك يعود إلى لغة العصر الذي كانوا يعيشون فيه، فقد كان الإعجاز البلاغي هو السائد عندهم، قال أبو الحسن الندوي: (إنَّ علماءنا البلاغيين المتقدمين كلما تأملوا في إعجاز القرآن أو ألَّفوا فيه غلب عليهم –لميول العصر ولتذوق العرب البياني وأهمية اللسان ودوره– هذا الجانب الخاص من إعجاز القرآن، ولا غروا فقد أثبتوا فيه من دقة النظر وحسن الملاحظات وجمال الذوق ما ينتفع به دائماً، وأودعوا فيه عصارة ذكائهم وخلاصة فكرهم وتأملاتهم وقدموا لنا ثروة ضخمة في هذا الموضوع، ليس من السهل الزيادة فيها)[١].

وممكن أنْ يُحْتَجَّ لمذهب الأكثرين على كون إعجاز القرآن ليس مقتصراً على ألفاظه وتراكيبه وفصاحته اللغوية بما هو آتٍ:

- لو كان إعجاز القرآن في فصاحته وبلاغته في العربية فحسب كيف آمن غير العرب به؟ فالقرآن معجزة لما في رسالته من تعليمات عليا، وإرشادات سامية، وغايات نبيلة، وأغراض شريفة، وأهداف قيمة، تزيد الإيمان وتحث المؤمنين على الأعمال الصالحة ومكارم الأخلاق ...[٢].
- إنَّ الخصيصة المميزة للقرآن وسر إعجازه يرجع إلى أنه أنزل بعلم الله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

(١) المدخل إلى الدراسات القرآنية، لأبي الحسن الندوي: ٤٠، ٤١.

(٢) ينظر: مقدمة تفسير مجاهد: ١٣–١٤.

فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾[١]، ومعلوم أنَّ علم الله لا ينحصر في الألفاظ والتراكيب الظاهرة بل إنه أمسُّ بمعانيه وحقائقه ومحتوياته[٢].

- طالب القرآن المشركين في مكة بأن يأتوا بكتاب أفضل من هذا الكتاب هداية وإصلاحاً وعلاجاً للقلوب[٣]: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[٤]، فالقرآن لم يطالبهم بكتاب أفصح منهما أو أبلغ منهما؟ وذلك لأن الفصاحة والبلاغة من الأوصاف الخفية الغامضة الدقيقة– التي تختلف فيها الأذواق، وتتشعّب فيها الآراء والأنظار ولكن ما ظهر من الرسول ﷺ –بسبب نزول القرآن عليه– من العلم والقدرة على هداية الأمم، وإزالة أسقام أهل العالم، وتأسيس الشريعة الإلهامية، وإيجاد الأمة الإسلامية رغماً للأمم الكبرى، ومباينا للديانات العظمى: أمر ظاهر محسوس، تصعب فيه المناقشة، ولا تفيد معه المغالطة[٥].

فالإعجاز هنا إنما هو في الإتيان بما هو أهدى من الكتابينِ وذلك أمرٌ بيِّنُ الاستحالةِ فيوسع دائرةَ الكلامِ للتَّبكيتِ والإفحامِ[٦].

- قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٧] يدل على الإعجاز الغيبي؛ لأنَّ الخلقَ كلهم عاجزون عن الإحاطة بعلم الغيب.

---

(١) سورة هود، الآيتان ١٣–١٤.
(٢) ينظر: المدخل إلى الدراسات القرآنية: ٣٩، ٤٠.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٠.
(٤) سورة القصص، الآيتان ٤٩–٥٠.
(٥) محاسن التأويل، للقاسمي: ٢٧٤/١.
(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ١٨/٧.
(٧) سورة البقرة، الآيتان ٣٠–٣٣.

- إنَّ جعل وجه الإعجاز في القرآن هو الفصاحة وحدها أمرٌ غير سديد؛ لأنَّ مجرد الفصاحة دون مراعاة لمقتضى الحال أمر لا يخرج بالكلام عن المعهود في مقدور البشر فكثيراً ما يكون الكلام البشري فصيحاً لكن تعوزه الخصائص والنكات الزائدة التي هي مناط بلاغته في أقل درجاته فضلاً عن إعجازه(١).

وبهذا نكون قد أثبتنا كون الإعجاز ليس مقتصراً على الجانب البلاغي، بل يتعداه إلى جوانب أخرى كثيرة، فالقرآن معجز بنظمه وبلاغته، وبتأثيره في النفوس، وبما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات بأنواعها الثلاثة (فلا معنى لنسبته إلى واحد منها مع اشتماله على الجميع)(٢).

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني: ٢/٣٢٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٢/١٠٦.

المبحث الثاني:
الإخبار عن الغيوب الماضية والحاضرة والمستقبلة ومضامين الإعجاز

تمهيد: علمُ الغيبِ لله في جميعِ الأزمنةِ

في القرآن الكريم نصوص كثيرة تدُلُّ على أنَّ الله ﷻ قد أستأثر بعلم الغيب دون خلقه، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[1]. وقوله: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[2].

وذكر القرآن براءة النبيﷺ من علم الغيب بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[3].

وقصة خلق آدمعليه السلام تعطينا درساً آخر من دروس الإخبار عن الغيب[4] وعجز الملائكة عن العلم بهِ، وأنَّ آدم عليه السلام إنما استحق الخلافة بعد أن علَّمَهُ الله سبحانه أسماء الذوات، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٨.

(٤) المراد بالغيب هنا هو ما غاب عن أبصارهم فلم يعاينوه؛ توبيخاً من الله جلَّ ثناؤه لهم بذلك. ينظر: جامع البيان: ٢٢٢/١.

(٥) سورة البقرة، الآيتان ٣٠-٣٣.

فقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (معناه أنا الَّذِي أَعْرِفُ الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ وَالْوَاقِعَ وَالْمُتَوَقَّعَ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا تَرَوْنَهُ عَابِدًا مُطِيعًا سَيَكْفُرُ وَيَبْعُدُ عَنْ حَضْرَتِي، وَمَنْ تَرَوْنَهُ فَاسِقًا بَعِيدًا سَيَقْرُبُ مِنْ خِدْمَتِي، فَالْخَلْقُ لا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا عَنْ حِجَابِ الْجَهْلِ وَلا يَتَيَسَّرُ لَهُمْ أَنْ يَخْرِقُوا أَسْتَارَ الْعَجْزِ فَإِنَّهُمْ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ)[١].

واشتمل القرآن على أخبار غيبية كثيرة لا سبيل للنبي ﷺ ولا لقومه إلى علمها إنما يتعين تحصيلها من سبيلٍ واحدةٍ وهي التلقي والتعلم ولكن ممن عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو، وهي أنباء تطرقت إلى كشف غيوب ماضية، وأخرى حاضرة، ومستقبلية أيضاً[٢]. وبما أنَّ الغيب يطلق ويراد به هذه المعاني الثلاثة فسيكون بحثنا هنا في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

الإخبار عن الغيوب الماضية ومضامين الإعجاز

القرآن الكريم حافل بالإخبار عن الغيوب الماضية وهي تتمثل في القصص الرائعة الهادفة عن سيّر المرسلين ومناهج المؤمنين؛ ومواقف أعداء الرسل، ومن تلك القصص التي ذكرها القرآن قصه نوح عليه السلام: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾[٣].

وقصة موسى عليه السلام: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٤٤ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٤٥ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٦﴾[٤].

وقصة مريم عليها السلام: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ

---

(١) التفسير الكبير، للرازي: ٤٢٦/٢.

(٢) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، للدكتور مصطفى مسلم: ٢٧٩. وبينات المعجزة الخالدة، للدكتور حسن ضياء الدين عتر: ٣٢١.

(٣) سورة هود، الآية ٤٩.

(٤) سورة القصص، الآيتان ٤٤-٤٦.

أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[١].

وقصة يوسف عليه السلام: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[٢].

وقد نبه الباري جل جلاله على عدم معرفة النبي محمد ﷺ شيئاً من تلك الأنباء، وامتن عليه بإيمائه القرآن الذي حواها، قال تعالى في تصدير قصة يوسف عليه السلام: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾[٣]. قال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى[٤]: (والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لإجلال شأن النبي ﷺ ويمكن أَنْ يقال: إن الشيء إذا كان بديعاً وفيه نوع غرابة إذا وقف عليه قيل للمخاطب: كنت عن هذا غافلاً فيجوز أن يقصد الإشارة إلى غرابة تلك القصة فيكون كالتأكيد لما تقدم إلا أن فيه ما لا يخفى)[٥]، فحينئذ لا يجوز أن يتصور هنا أنَّ الآيةَ فيها منقصة لشخص الرسول ﷺ بأَنَّ القرآن هو من عند الله تعالى وليس من عنده[٦].

---

(١) سورة آل عمرآن، الآية ٤٤.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٢.

(٣) سورة يوسف، الآية ٣.

(٤) هو الإمام محمد بن عبد الله الحسيني الآلوسي، مفسِّر، محدّث، أديب من المجددين من أهل بغداد مولده ووفاته فيها، كان مجتهداً تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ، من كتبه: روح المعاني في التفسير، توفي سنة ١٢٧٠هـ. ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق الدمشقي: ١٤٥٠/١-١٤٥٥. والأعلام، للزركلي: ١٧٦/٧.

(٥) روح المعاني: ١٥٨/١٢.

(٦) ينظر: بينات المعجزة الخالدة: ٣٢٥، ٣٢٦.

ورسولنا الكريم ﷺ لم يكن يقرأ ويكتب فكان أمياً، والقرآن الكريم نزل على رسول اللهﷺ والعرب تغلب عليهم الأمية، قال البلاذري[١] وهو يتحدث عن الكتابة في مكة: (دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب)[٢].

والقرآن الكريم وصف الرسول بالأمي وقومه بالأميين، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[٣] وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[٤].

وكانت الأميّة في حقّ النبيّﷺ فضيلة ولم تكن منقصة؛ لأنها أدلُّ على صدق ما جاء به، فلو كان يقرأ أو يكتب لقالوا جاء بالقرآن من عند نفسه، قال الله تعالى:﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[٥].

ومضمون الإعجاز في الإخبار عن غيب الماضي يتلخص فيما هو آت:

إنَّ النبيَّﷺ كان أُميّاً لا يقرأ ولا يكتب، وقد عاش أربعين عاماً مشغولاً برزق نفسه وزوجه وولده راعياً أو تاجراً بالأجر، لا يتصل إلى العلم والعلماء بسبب، ولا يتطرق حديثه إلى شيء من أمر الغيب أو النبوة في يسير أو كثير، ثم يسرد قصص المرسلين السابقين وأممهم مفصلة موضحة، ويمتحنه أهل الكتاب فيسألونه عمّا تيقنوا بأنه غيب بالنسبة إليه، لا يقدر على تعلمه بوسيلة عادية، فيسألونه اختباراً عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح، فيجيبهم على وجه الدقة والضبط مما لا سبيل إلى

---

(١) هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري مؤرخ، جغرافي، نسابة، كان راوية للشعر ويكتبه، محدّثاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة ثقة حجة ولد ومات في بغداد من كتبه: فتوح البلدان، والقرابة، وتاريخ الأشراف ويسمى أنساب الأشراف، توفي سنة ٢٧٩هـ. ينظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر: ٧٤/٦.

(٢) فتوح البلدان، للبلاذري: ٤٥٣/١.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٤) سورة الجمعة، الآية ٢.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٤٨.

مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية ISSN-2071-6028

تخطئتهِ أو تكذيبه، فهل يمكن لذاك الرجل الأمي الذي بلغ في الأمية أربعين سنة ولم يزل عليها أن يأتي دفعة واحدة بما لا عهد له في سالف حياتهِ من تأريخ دقيق مفصل وعلم يقيني وبلاغة معجزة إلاّ أن يكون وحياً من الله يوحى! وأنى له العلم بأخبار القرون الأولى: فيسرد على وجه التخصيص والتصحيح ما خفي وتشوه في قراطيس أهل العلم إلاّ أن يتلقى من علام الغيوب![1] ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ ﴾[2].

المطلب الثاني :

الإخبار عن الغيوب الحاضرة ومضامين الإعجاز

المراد بغيب الحاضر ما جرى في عصر رسول الله ﷺ من حوادث لم يحضرها ، ثم نزل القرآن الكريم متضمناً لها ومخبراً بحقيقة ما جرى... والغاية الأساس من الغيب الحاضر هو تأييد الدعوة والأخذ بيدها والسير بها على بينة من أمرها[3].

وسأذكر هنا مثالين على هذا النوع من الغيب :

المثال الأول: إخباره عن الموجودات الغائبة عنا مما لا يدرك بالحس والمشاهدة، مثل إخباره عن الملائكة والجن، وعن الجنة والنار، وعن الأجرام السماوية وتفصيلات هذه الأمور، ونحوها مما لم يكن لرسول الله ﷺ سبيلاً لرؤيته ولا العلم به، متحدثاً عن هذا الوجه بالتفصيل والوضوح الذي أيده فيه ما جاء به الأنبياء وماحكته كتبهم من قبل[4].

والمثال الثاني: إخباره عن أحوال الكافرين والمنافقين وكشف حقيقتهم، وإبراز دخيلتهم، وإزاحة الستار عن خفايا نفوسهم الخبيثة اللئيمة.

- ومن النصوص القرآنية الكريمة التي جاءت مخبرة عن أحوال اليهود في الحاضر قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ

(١) ينظر: بينات المعجزة الخالدة: ٣٢٤، ٣٢٥.

(٢) سورة يونس، الآية ١٦.

(٣) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ٢٨٥.

(٤) علم الإعجاز القرآني بين الفن والتأريخ، للدكتور خليل رجب حمدان الكبيسي: ١٥٩.

خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾(١)، وقوله ﷻ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾(٢).

- ومن النصوص القرآنية الكريمة التي جاءت مخبرة عن أحوال المنافقين في الحاضر قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾(٣) وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾(٤).

والشواهد على غيب الحاضر كثيرة أبرزها ما كشفه الله ﷻ في سورة التوبة التي أماطت اللثام عن وجوه النفاق وقد ذكر العلماء لها تسعة أسماء: التوبة، وبراءة، والعذاب، والمقشقشة، والفاضحة، والمبعثرة، والمثيرة، والحافرة(٥).

ومضمون الإعجاز في الإخبار عن غيب الحاضر يتلخص فيما هو آت:

كان الكافرون إذا خلا بعضهم ببعض أظهروا شِدَّةَ العداوة، و شِدَّةَ الغيظ على المؤمنين، حتى تبلغ تلك الشدة إلى عضِّ الأنامل، فكشف الله ﷻ زيفهم وأمر نبيه أن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله كمدا من الغيظ وهي صيغة أمر، ومعناها الدّعاء أن أذن

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١١٨–١١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٨.

(٣) سورة التوبة، الآيتان ١٠٧، ١٠٨.

(٤) سورة النور، الآية ١١.

(٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٢/٢٣٠.

الله لنبيه أن يدعو عليهم لمّا يئس من إيمانهم، على رأي الطبري وكثير من المفسرين[١] وقيل: هو ليس دعاء بل يحمل معنى التقريع للكفار، قاله: ابن عطية[٢].

والنبيﷺ كان قد سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروا بخلافه، وأروه أنهم قد صدقوه وفرحوا بذلك التلبيس، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يثني عليهم بذلك، فأطلعه الله ﷻ على هذا السر.

وكان المنافقون بنوا مسجداً بجانب مسجد قباء، زعموا أنهم بنوه للصلاة وإيواء مساكين المسلمين، وقد فضحهم اللهﷻ وبين غرضهم من إنشائه[٣]، ومضمون الإعجاز في حادثة الإفك[٤] أنَّ الله كشف عن مؤامرة المنافقين الخبيثة للنيل من زوج النبيﷺ التي قد برأها الباريﷻ من فوق سبع سماوات، فهو من باب الإخبار عن غيب الحاضر.

المطلب الثالث:

الإخبار عن الغيوب المستقبلية ومضامين الإعجاز

جاء القرآن بجازم الأخبار عمَّا سيقع بعد عام أو بعد أعوام، وعن بعض ما سيكون إلى أبد الدهر وما لن يكون.

وقد ثبت أنه ﷺ لم يتعاط فن العرافة والتنجيم، ولم يصحب أهله، وكان ينفر من الدعوى الزائفة، ومن أن ينسب إليه ما ليس فيه.

كما كانت أخلاقه على النقيض من أخلاقهم، فلم يعرف عنه خلط الصدق بالكذب والصواب بالخطأ، وإنما اشتهر بالصدق والعفة، والترفع عن الدنيا ﷺ [٥]

وأمثلة وشواهد الغيوب المستقبلية كثيرة في القرآن منها على سبيل المثال لا الحصر ما هو آت:

---

(١) جامع البيان: ١٥٤/٧، والتفسير الكبير: ٣٤٢/٨.

(٢) المحرر الوجيز: ٥٢٣/١.

(٣) ينظر: بينات المعجزة الخالدة: ٣٢٧، ٣٢٨.

(٤) ينظر: قصة الإفك بتمامها في الصحيحين، البخاري: ١٠١/٦ برقم (٤٧٥٠)، ومسلم: ٢١٢٩/٤ برقم (٢٧٧٠).

(٥) ينظر: بينات المعجزة الخالدة: ٣٢٨، ٣٢٩.

أولاً: إخباره عن تغلب الروم بعد هزيمتهم أمام الفرس

قال الله ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾[١] عن ابن عباسﷺ: كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب فذكروه لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ قال: (أما إنهم سيغلبون) فذكره أبو بكر لهم فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك للنبي ﷺ قال ألآجعلته إلى دون قال أراه العشر، قال سعيد بن جبير: والبضع ما دون العشر[٢]، قال : ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ إلى قوله ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾﴿بِنَصۡرِ مَن يَشَآءُ﴾ قال سفيان: سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر[٣].

وعن عكرمة: أنَّ الرَّوم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض، قالوا: وأدنى الأرض يومئذ أذرعات[٤] بها التقوا فهزمت الروم، فبلغ ذلك النبيﷺ وأصحابه وهم بمكة، فشق ذلك عليهم. وكان النبي ﷺ يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم، ففرح الكفار بمكة وشمتوا، فلقوا أصحاب النبي ﷺ فقالوا: إنكم أهل الكتاب،

---

(١) سورة الروم، الآيات ١-٦.

(٢) وبهذا المعنى قال مجاهد وقتادة: (هو ما بين الثلاث إلى التسع) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٤٢٧/٣.

(٣) سنن الترمذي: ٣٤٣/٥ برقم (٣١٩٣)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) أذرعات: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ينسب إليه الخمر. وقال الحافظ أبو القاسم : أذرعات مدينة بالبلقاء. ينظر: معجم البلدان، للحموي: ١٣٠/١. وينظر: الصحاح، للجوهري: ١٢١١/٣ مادة «ذرع».

والنصارى أهل الكتاب، ونحن أميون، قد ظهر أخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾[١]، فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار، فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا؟ فلا تفرحوا، ولا يقَرَّنَّ الله أعينكم، فو الله لتظهرن الروم على فارس، اخبرنا بذلك نبيناﷺ فقام إليه أبي بن خلف، فقال: كذبت يا أبا فضيل، فقال له أبو بكرﷺ أنت اكذب يا عدو الله، فقال: إذا حسبك عشر قلائص[٢] مني، وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت، وإن ظهرت فارس على الروم غرمت إلى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فاخبره، فقال: (ما هكذا ذكرت، إنما البعض ما بين الثلاث إلى التسع، فَزَايِدْهُ فِي الخَطَرِ، ومادّه فِي الأجَلِ). فخرج أبو بكر فلقي أُبياً، فقال: لعلك ندمت، فقال: لا. فقال: أُزايدك في الخطر[٣]وأمادك في الأجل، فاجعلها من قلوص لمائة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت[٤].

قال الشعبي: لم تمضِ تلك المدة حتى غلبت الروم فارس؛ وربطوا خيلهم

---

(١) سورة الروم، الآيات ١-٦.

(٢) القلائص: جمع قلوص، وهي أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تثني فإذا اثنت فهي ناقة. لسان العرب، لابن منظور: ٧/ ٧٩ مادة «قلص».

(٣) الخطر: السَّبق الذي يتراهن عليه، وقد أخطر المال، أي جعله خطراً بين المتراهنين وخاطره على كذا، الصحاح: ١٧٧/١ مادة «خطر».

(٤) جامع البيان، للطبري: ١٧/٢١. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤/١٤. وتفسير القرآن العظيم: ٤٢٤/٣. والحديث أخرجه الترمذي: ٣٤٤/٥ برقم (٣١٩٤) بألفاظ مختلفة، وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ نِيَارِ بْنِ مُكْرَمٍ، لا نَعْرِفُهُ إِلاّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ.

بالمدائن، وبنوا رومية؛ فقمر[١] أبو بكر أُبياً وأخذ مال الخطر من ورثته، فقال له النبيﷺ: (تصدق به) فتصدق به[٢].

ومضمون الإعجاز في الإخبار عن غيب المستقبل يتلخص في ما هو آت:

أنَّ الآية قد تضمنت ثلاثة من الإخبارات الغيبية المستقبلية:

الأول منها: قوله عز وجل ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣﴾ هذا من الغيب.

والثاني: قوله ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ والبضع فوق الثلاثة ودون العشرة وهذا التحديد أيضاً من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

والثالث: قوله عز وجل: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ فأخبر أنهم يفرحون في ذلك الوقت بنصر الله، وهذا أيضاً من الغيب؛ لأنَّهُ خبر عن بقاء المؤمنين إلى ذلك الوقت مع قلتهم، وطمع الأعداء في استئصال شأفتهم، وعن أنهم يفرحون، والآية نزلت بمكة قبل الهجرة في حال ضعف المسلمين وقد وقع ما أخبر به القرآن[٣].

واختُلِفَ في السنة التي غَلَبتْ الرُّومُ أهلَ فارس على قولين:

الأول منهما: أنها عام بدر ظهر الرَّوم على أهل فارس[٤] وهو قول طائفة كثيرة من العلماء، كابن عباس، والثوري، والسدي، وغيرهم[٥].

وذلك لما ورد في سنن الترمذي، عن أبي سعيد الخدريرضي الله عنه أنه قال: (لما كان يوم

---

(١) قال ابن دريد: تقمر الرجل: إذا طلب من يقامره، وقمرت الرجل أقمره بالكسر قمراً إذا لاعبته فيه فغلبته وقامرته وقمرته أقمرُهُ بالضم قمراً إذا فأخذته فيه فغلبته وتقمر الرجل غلب من يقامره. مقاييس اللغة، لابن فارس: ٢٦/٥ مادة «قمر»، ولسان العرب: ١١٣/٥ مادة «قمر».

(٢) معالم التنزيل، للبغوي: ٥٧٠/٣.

(٣) نظرية الإعجاز القرآني، للدكتور احمد سيد محمد عماد: ١٠٢.

(٤) جامع البيان، للطبري: ٢١/٢١. والكشاف، للزمخشري: ٤٢٢/٣. والتفسير الكبير، للرازي: ٨٠/٢٥.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥١٦/٣.

بدر ظهرت الروم على فارس)[١].

القول الثاني: عام الحديبية[٢] قاله عكرمة، والزهري، وقتادة، وغير واحد[٣].

واستدلوا بما ثبت في صحيح البخاري ،عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلاَمِ ، وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ ، وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى لِيَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ ، وَكَانَ قَيْصَرُ لَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ جُنُودَ فَارِسَ مَشَى مِنْ حِمْصَ إِلَى إِيلِيَاءَ ، شُكْرًا لِمَا أَبْلاَهُ اللَّهُ ، فَلَمَّا جَاءَ قَيْصَرَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِﷺ قَالَ حِينَ قَرَأَهُ الْتَمِسُوا لِي هَا هُنَا أَحَدًا مِنْ قَوْمِهِ لأَسْأَلَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِﷺ [٤].

(فاستدلوا بهذا على أن نصر الروم على فارس كان عام الحديبية؛ لأنَّ قيصر إنما وَفَّى بِنَذرِهِ، بعد الحديبية، والله أعلم)[٥].

(ولأصحاب القول الأول أن يجيبوا عن هذا بأنَّ بلاده كانت قد خربت وتشعثت، فما تمكن من وفاء نذره حتى أصلح ما ينبغي له إصلاحه وتفقد بلاده، ثم بعد أربع سنين من نصرته وفّى بنذره، والله أعلم، والأمر في هذا سهل قريب)[٦].

وعلى أية حال فإنَّ هذه الآيات تبشر بغلبة أهل الكتاب من الروم في بضع سنين غلبة يفرح لها المؤمنون الذين يودون انتصار ملة الإيمان من كل دين[٧].

وهذه الواقعة تدل على الإعجاز القرآني في التنبؤ عمَّا سيحدث في المستقبل من انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم أمام الفرس، وقد تحقق هذا بالفعل فلم تمضِ تلك المدة، حتى انتصر الروم على الفرس فتحقق وعد الله عزَّ وجل ، فالآية إذن وكما

---

(١) سنن الترمذي: ٣٤٣/٥ برقم (٣١٩٢) باب سورة الروم، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) الكشاف: ٤٢٢/٣. وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٨٠٦/٢.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥١٦/٣.

(٤) صحيح البخاري: ١٠٧٤/٣ برقم (٢٧٨٢) باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ٥١٧/٣.

(٦) المصدر نفسه: ٥١٧/٣.

(٧) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: ٤٧٥/٥.

قال البيضاوي رحمه الله أنها: (من دلائل النبوة؛ لأنها إخبار عن الغيب)[١].

ثانياً: إخباره عن انتصار المؤمنين وهزيمة الكافرين.

لقرآن الكريم يُسجلُ هنا خبراً عظيماً ، ووعداً صادقاً جديداً ، فالله جلَّ وعلا يُخبِر بأن المؤمنين سينتصرون، والكافرين سيهزمون، وحقاً فقد انتصر جمع الإيمان، وهُزم جمع الكفر والضلال فكان كما أخبر تعالى بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[٢] فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة يوم بدر: (اللهم إني أنشدك عهدك، ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعبد بعد اليوم) فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك وهو يثب[٣] في الدرع فخرج وهو يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر)[٤]، وعن عكرمة، قال: لمّا نزلت ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾، قال عمر: أي جمع سيهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فعرفت تأويلها يومئذٍ.

قال سعيد بن جبير قال سعد بن أبي وقاص: لما نزل قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ كنت لا أدري أي الجمع ينهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبيﷺ يثب في الدرع ويقول: اللهم إن قريشاً جاءتك تحادك وتحاد رسولك بفخرها وخيلائها فأضنهم الغداة، ثم قال ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ فعرفت تأويلها وهذا من معجزات النبيﷺ لأنه أخبر عن الغيب فكان كما أخبر[٥].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٨٠٦/٢.

(٢) سورة القمر، الآيتان ٤٤، ٤٥.

(٣) أي: يمشي فيها بقوة وطاقة وينزو في مشية، مشارق الأنوار، للقاضي عياض: ٥٥٨/٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٣٣٢١/١٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٤٦/١٧.

بقي لي أن أذكر الآن مكان حصول هذه المعجزة الخالدة، فأقول: إن أكثر المفسرين على أنها كانت في يوم بدر(١) ومنهم من قال إنها يوم الخندق(٢).

واختار فخر الدين الرازي أنها كانت يوم فتح مكة فقال: (والأصوب عندي حملهُ على يوم فتح مكة وذلك لأن المعنى أنهم جند سيصيرون منهزمين في الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو: مكة، فوجب أن يكون المراد أنهم سيصيرون منهزمين في مكة وما ذاك إلا يوم الفتح والله أعلم)(٣).

لكن يبدو والله تعالى أعلم وأحكم أنَّ هزيمة الكافرين كانت في يوم بدر؛ للحديث الثابت في صحيح البخاري عن ابن عباس الذي ذكرته قبل قليل، وهو قول الغالبية العظمى من المفسرين. قال قتادة: (أخبر الله تعالى نبيه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين، فقال: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾ فجاء تأويلها يوم بدر)(٤)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين)(٥).

ومضمون الإعجاز هنا يتلخص فيما هو آت: إنّ قولهﷻ: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾ (إخبار بالغيب فإن المشركين هزموا يوم بدر، وولّوا الأدبار يومئذ، وولّوا الأدبار في جمعٍ آخر وهو جمع الأحزاب في غزوة الخندق)(٦).

وهو يَدُلُ على معجزة جديدة أخرى تضاف إلى بقية معجزات القرآن الكثيرة؛ لأنه لمَّا نزلت هذه الآية لم يكن أحد يتوقع أن ينتصر المسلمون فتحقق وعد الله فكان النصر حليفاً للمسلمين، فكان وعده كما وعد.

ثالثاً: إخباره عن دخول المسلمين مكة

---

(١) وهو قول: عكرمة، والربيع، وقتادة، وابن زيد، وابن عباس، وسعد بن أبي وقاص، ورجحه الآلوسي وابن عاشور . ينظر: جامع البيان: ١٠٨/٢٧. والتفسير الكبير: ٣٧٠/٢٦، والجامع لأحكام القرآن: ١٤٦/١٧. وروح المعاني: ٩٢/٢٧.

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ولم ينسبه إلى قائل، ينظر: التفسير الكبير: ٣٧٠/٢٦.

(٣) المصدر نفسه: ٣٧٠/٢٦.

(٤) معالم التنزيل: ٤٣٤/٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٤٦/١٧.

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢١٣/١٣.

طَمَأَن الله عباده بتنزيل قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾[١].

قال الإمام الطبري رحمه الله: (يقول تعالى ذكره: لقد صدق الله رسوله محمداً رؤياه التي أراها إياه أَنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين، لا يخافون أهل الشرك، مقصراً بعضهم رأسه، ومحلقاً بعضهم)[٢].

فعن مجاهد رحمه الله قال: (أُريَ رسول الله ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، فقال له أصحابه حين نحر بالحديبية: أين رؤياك يا رسول الله؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ . إلى قوله ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ يعني النحر بالحديبية، ثم رجعوا ففتحوا خيبر، ثم اعتمر بعد ذلك فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة)[٣].

وقد اختلف أهل التفسير في مسألتين:

الأولى: اختلافهم في تأويل قوله ﷻ: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ على ثلاثة أَقوال:

القول الأول: أي علم ما في تأخير الدخول من الخير والصلاح ما لم تعلموه أنتم وذلك أنه عليه الصلاة والسلام لما رجع منها إلى خيبر افتتحها، ورجع بأموال خيبر واخذ من العدة والقوة أضعاف ما كان في ذلك العام، واقبل إلى مكة على أهبة وقوة وعدة بأضعاف ذلك[٤].

والقول الثاني: أي عَلِمَ أن دخولها إلى سنة ولم تعلموه أنتم[٥].

---

(١) سورة الفتح، الآية ٢٧.

(٢) جامع البيان: ١٠٧/٢٦.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ٢٥٧/٢٢، والبيهقي في الدلائل: ٢٤١/٤.

(٤) معالم التنزيل: ٣٢٣/٧. والجامع لأحكام القرآن: ٢٩١/١٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٢٩١/١٦.

والقول الثالث: عَلِمَ أن بمكة رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمنات لم تعلموهم[١].

والمسألة الثانية: اختلافهم في تأويل قولهﷻ: ﴿فَتۡحٗا قَرِيبٗا ٢٧﴾ **على ثلاثةِ أقوال أيضاً:**

القول الأول: فتح خيبر، قاله ابن زيد والضحاك[٢].

والقول الثاني: قيل: فتح مكة[٣]. وهذا أنكره الآلوسي، فقال: (ومن الغريب ما قيل: إن المراد به فتح مكة مع أنه لم يكن دخول الرسول ﷺ وأصحابه دون مكة على أنه منافٍ للسياق كما لا يخفى)[٤].

والقول الثالث: هو صلح الحديبية، وبه قال أكثر المفسرين[٥]. قال الزهري: (ما فتح الله في الإسلام كان أعظم من صلح الحديبية؛ لأنه إنما كان القتال حين تلتقي الناس، فلما كانت الهدنة وضعت الحرب أوزارها وأَمن الناس بعضهم بعضاً، فالتقوا وتفاوضوا الحديث والمناظرة)[٦].

وزيادةً على ذلك فإنَّ البغوي أَوَرَدَ لنا حديثاً ذكر أَنَّ فيه: دليلاً على أَنَّ المراد بالفتح صلح الحديبية، وتحقق الرؤيا كان في العام المقبل.

والحديث مروي عن مجمع بن جارية الأنصاري وكان أحد القراء الذين قرؤوا القرآن قال: شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها إذا الناس ينفرون الأباعر فقال الناس بعضهم لبعض ما للناس؟ قالوا أُوحي إلى رسول الله ﷺ فخرجنا مع الناس نوجف حتى وجدنا رسول الله ﷺ على راحلة عند كُراع الغميم واجتمع الناس إليه فقرأ عليهم: ﴿إِنَّا

---

(١) جامع البيان: ١٠٧/٢٦.

(٢) تفسير مقاتل: ٢٥٣/٣، وجامع البيان: ١٠٨/٢٦. ومعالم التنزيل: ٣٢٣/٧. والجامع لأحكام القرآن: ٢٩١/١٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٠٨/٥. وروح المعاني، للآلوسي: ١٢٢/٢٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٢٩١/١٦.

(٤) روح المعاني: ١٢٢/٢٦.

(٥) جامع البيان: ١٠٨/٢٦. ومعالم التنزيل: ٣٢٣/٧. والجامع لأحكام القرآن: ٢٩١/١٦.

(٦) جامع البيان: ١٠٨/٢٦. والجامع لأحكام القرآن: ٢٩١/١٦.

فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾﴾ فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أي رسول الله وفتح هو؟ قال: أي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح، فقسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحداً إلا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهماً، وكان الجيش ألفا وخمسمائة فيه ثلاثة مائة فارس فأعطى الفارس سهمين وأعطى الرجل سهماً(١).

ومضمون الإعجاز هنا يتلخص فيما هو آت:

أنه مهما كان من اختلاف في تأويل الآيتين السابقتين فإن ذلك لا يؤثر فيما أردت بيانه وهو أن هذه الرؤيا تدُلُ على معجزات القرآن وإخباره عن أمور المستقبل، ووعد الله رسوله بأنه سوف يفتح مكة ويدخل المسجد الحرام، وقد تحقق ذلك بالفعل بعد مُدّةٍ وجيزةٍ من الزمن.

رابعاً: إخباره عن نجاح الإسلام وبقائه

إنَّ الدين الإسلامي هو الدين الباقي، وهو المؤيد بالنجاح والاستمرار وهو المُتقبل عند الله سبحانه من بين جميع الأديان السماوية الأُخرى، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾(٢).

فقد وردت نبوءات قرآنية تُعلن على جهة القطع واليقين بأنَّ هذا الدين سيبقى، وأن الله قد ضمن له النجاح الباهر والمكث في الإنسانية إلى يوم الدين(٣)، قال الله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي

(١) مسند الإمام أحمد: ٤٢٠/٣ برقم (١٥٥٠٨) باب حديث مجمع بن جاريةﷺ، واللفظ له. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف يعقوب بن مجمع بن جارية والد مجمع إن كان حسن الحديث انفرد به. وسنن أبي داود: ٢٨/٣ برقم (٢٧٣٨) باب فيمن اسهم له سهماً، وقال: حديث أبي معاوية أصح والعمل عليه، وأرى الوهم في حديث مجمع أنه قال: ثلاثمائة فارس وكانوا مائتي فارس. والمستدرك ١٤٣/٢ برقم (٢٥٩٣) كتاب قسم الفيء، وقال: هذا حديث كبير صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٣) ينظر: بينات المعجزة الخالدة: ٣٣٠.

ٱلۡأَرۡضۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾﴾[١]، وقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[٢].

ومضمون الإعجاز في الآيتين يتلخص فيما هو آت:

- أنَّ الذي لا مرآء فيه أن البقاء للحق، والسيادة للحق، وأن الحق يعلو ولا يعلى عليه، نعم إن الباطل قد يسود في مرحلة من المراحل، إما في غفلةٍ من الزمن وإما في ضعف من أهل الحق أنفسهم، ولكن لا يمضي غير قليل حتى يقوى الحق ويشتد ويصلب عوده[٣].
- قد أخبر القرآن، والمسلمون في مكة مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس بأن الإسلام سيظهر ويبقى وأن كتابه سيكتب له الحفظ والخلود منفرداً بهذه الميزة عن سائر الكتب.

ثم قال: أجل في هذه الواقعة والإسلام يومئذ في مكة مدفوع مضطهد والمسلمون قليل مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس وليس هناك من بواسم الآمال ما يُلقي ضوءاً على نجاح هذا الدين الوليد ولئن التمست هذه الآمال في نفس الداعي من طبيعة دعوته فما كانت لتصل إلى هذا الحد مادام صاحبها حياً يتعهدها بنفسه ويغذيها بنشاطه فليس لديه من العوامل ما يجعله يثق بهذا النجاح بعد موته مع ما هو معروف بأن المستقبل مليء بتشتيت المفاجآت، والليالي من الزمان حُبالى مثقلات، والتأريخ لا يزال يقص علينا وعلى الناس نبأ من قتل من الأنبياء وما ضاع أو حُرّف من كتب الله ووحي السماء وما حبط من دعوات الحق ونهض من دعوات الباطل كل ذلك فقد كان ومحمد ﷺ لم يكن في يوم من الأيام بالرجل الذي يسير مع الأوهام أو يطير مع الخيال أو يطلب المجد عن طريق الأحلام المكذوبة والآمال المعسولة، بل

---

(١) سورة الرعد، الآية ١٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآيتان ٢٤، ٢٥.

(٣) ينظر: مجلة الوعي الإسلامي، لمحمود إبراهيم طيره: ١٠٥، ١٠٦، العدد ٢٤٨، لسنة ١٤٠٥هـ.

كان معروفاً منذ نشأته بتواضعه ورجاحة عقله واتزانه ودقته حتى لقد كان يتشبث في كلامه ويتحرى إلى أن لقب واشتهر بأنه ﷺ: الصادق الأمين، وجاء القرآن نفسه يشهد بأنه كان قبل نبوته لا يطمع في نبوة ولا يأمل في وحي: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾[١].

وكذلك لم يكن بعد نبوته بالذي يضمن بقاء هذا الوحي وحفظه: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾[٢]، فلا مناص إذن من أن تكون تلك البشارات المؤكدة والعهود الموثقة صادرة من أُفقٍ غير أفقه، آتية من مالكٍ قاهر لا رادَ لحكمة معبرةً عن مرادِ من يملك العالم ويحكمه في ماضيه وحاضره ومستقبله[٣].

خامساً: إخباره عن إتمام الدين وظهوره على الأديان:

قد أخبر العليم الخبير بأن النصرَ سيكون حليف هذا الدين مع ضعف قوة الرسول وقلة حيلته، زيادة على ضعف المسلمين وقلة عددهم، حيث كانوا أفراداً قلائل مستضعفين، ولكن الله جلَّ وعلا أبى إلا أن يتم أمر هذا الدين فقد (كان يبشرُّهم بانتصار هذا الدين وانحسار الأديان كافة أمامه، فله الغلبة والعزة على أكاسرة الفرس وأباطرة الروم وعلى جميع المخالفين)[٤]، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾[٥]، وقال أيضاً: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[٦]، فقوله: ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: (على جنس الدين كله يريد

---

(١) سورة القصص، الآية ٨٦.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان ٨٦، ٨٧.

(٣) ينظر: مناهل العرفان، للزرقاني: ٢/٣٧٤.

(٤) بينات المعجزة الخالدة: ٣٣٢.

(٥) سورة الفتح، الآية ٢٨.

(٦) سورة التوبة، الآيتان ٣٢، ٣٣.

الأديان المختلفة من أديان المشركين والجاحدين من أهل الكتاب وقد حقق ذلك سبحانه فإنك لا ترى ديناً قط إلا وللإسلام دونه العز والغلبة. وقيل : هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الأرض كافر، وقيل: هو إظهاره بالحجج والآيات.

وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه من فتح مكة وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً على أنّ ما وعده كائن. وعن الحسنﷺ: شهد على نفسه أنه سيظهر دينك[١])[٢].

ومضمون الإعجاز هنا يتلخص فيما هو آت:

أن يقوم رجل وحيد فريد لا ناصر له من الناس بدعوة جديدة، يعلن فيها أنَّ دينه هو المنتصر العزيز صاحب الصولة، وأن ما عداه مآله الانهيار. ثُمَّ تجده في مدّة وجيزة يغلب بدعوته ملوك الجزيرة العربية والمتحكمين فيها حتى دخل العرب في دين الله أفواجاً، ثم تغلب دعوته المملكتين العظيمتين في الأرض فارس والروم حتى انتشر الإسلام في معظم أرجاء العالم القديم من جبال الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً، وهكذا تحقق صدق خبره على أحسن وجه وأكمل صورة، فهل لهذه الأخبار مصدر إلا الله تعالى عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال[٣].

سادساً: إخباره عن عجز البشر وصحة نبوة محمد ﷺ:

الدليل على إعجاز القرآن في إخباره عن عجز البشر الأبدي أمام تحدي القرآن أو معارضته وصحة نبوة سيدنا محمد ﷺ آيات عدة أذكر منها آية واحدة فقط وهي كافية في رأيي على التدليل بما نريد بيانه والوصول إليه في هذا الموضوع والآية هي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ

(١) قوله: (إنه سيظهر دينك)، لعله: دينه، كعبارة النسفي.

(٢) الكشاف: ٣٤٧/٤.

(٣) ينظر: بينات المعجزة الخالدة: ٣٣٣.

وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[١].

ومضمون الإعجاز هنا يتلخص فيما هو آت:

أنَّ قوله عز من قائل: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ (يدُلُّ على إعجاز القرآن وصحة نبوة محمد ﷺ من وجوه: أحدها: ما عُلم بالتواتر أن العرب كانوا يعادونه أشد المُعاداة ويتهالكون في إبطال أمره، بذل النفوس والمُهج منهم أقوى ما يدل على ذلك، فضلاً عَنْ هذا التقريع: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ فلو أمكنهم الإتيان بمثله لفعلوا، وحيث لم يأتوا به ظهر كونه معجزاً.

ثانيها: أنه ﷺ إن كان متهماً عندهم فيما يتعلق بالنبوة، فقد كان معلوم الحال في وفور العقل ، فلو خاف ﷺ عاقبة أمره لتهمة فيه ﷺ حاشاه عن ذلك لم يبالغ في التحدي إلى هذه الغاية .

ثالثها: أنه ﷺ لو لم يكن قاطعاً بنبوته لكان يجوز خلافه، وبتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه، فالمبطل المزوّر لا يقطع في الكلام قطعاً، وحيث جزم دل على صدقه.

رابعها: أنَّ قوله: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ وفي [لن] تأكيد بليغ في نفي المستقبل إلى يوم الدين، إخبار بالغيب، وقد وقع كما قال ﷺ لأَنَّ أحداً لو عارضه ﷺ لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه عادة، لا سيَّما والطاعنون فيهﷺ أكثف عدداً من الذابين عنه ﷺ)[٢].

سابعاً: إخباره عن مصائر عدد من زعماء المشركين:

هنا قد يَرِد سؤالٌ يتلخص بما هو آتٍ: لماذا اختار القرآن في إخباراته زعماء المشركين دون غيرهم من عامة الناس؟ وجوابه: إنَّ القرآن إنما ذكر زعماء الشرك والضلال؛ لعدة أسباب منها ما هو آتٍ:

- كان زعماء المشركين هم الأكثر عداوة للرسول ولدعوتهِ، فقد ناصبوه العداء وآذوه اشد الإيذاء دون غيرهم من عامة الناس كما هو معروف، فضلاً عن ذلك: أنهم هم الذين يحرضون ويحثون ويدفعون صبيانهم وعبيدهم إلى إيذاء

(١) سورة البقرة، الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للقمي النيسابوري: ١/١٩٥، ١٩٦.

الرسول، فناسب أن يكون التركيز على رؤوس الشرك والضلال وسادات المشركين.

- ولأنَّ في هؤلاء الدَّرس البليغ لمن أراد أن يأخذ الدرس والعبر، ولمن أراد أن يَتَّعِظَ بهم لما حل بهم من هلاك وذلك جراء ما فعلوه وارتكبوه بحق الرسول عليه الصلاة والسلام من إيذاء واضطهاد وتشديد.
- وغالباً ما يكون الزعماء في القمة والصدارة وهم معروفون لدى الجميع ومحط أنظار جميع الناس لذا هم في غنى عن التعريف، فلا يحتاجون إلى تعريف أصلاً عند أقوامهم، بخلاف أن يذكر إنسان غير معروف وغير فَعّال في مجتمعه فذكره حينئذ ليس له أية قيمة ومعنى ولا يكون له تأثير كتأثير السادات والكبراء.

بعد هذا أعود إلى أصل موضوعنا وأقول: قد أخبر القرآن عن مصاير عدد من زعماء المشركين، ورؤوس الكفر والضلال وما سيحدث لهم في المستقبل القريب من عذاب أو هلاك فطابقت أنباء القرآن الواقع، وتحققت بالفعل وحلت بهم لعنة القرآن، ولهذا النموذج أمثلة متعددة أوجزها في الأمثلة الآتية:

المثال الأول: أبو لهب

قد أنزل الله ﷻ في أبي لهب وفي زوجته وابنه سورة خالدة تبقى ما بقي الزمان، تبقى إلى قيام الساعة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وهي تنبىء عن مصير كل كافر وجاحد ومكذب ومعاد لرسول الله ﷺ وهذه السورة هي سورة المسد قال الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾[1].

(١) سورة المسد.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[١] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي يا بني فهرٍ يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً قال: فأني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾)[٢].

وقد كان أبو لهب له ثلاثة أبناء: عتبة ومعتب وقد أسلما يوم الفتح وسرَّ النبي ﷺ بإسلامهما ودعا لهما وشهدا حنيناً والطائف، وعُتيبة بالتصغير لم يسلم، وكانت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ عند عتيبة وأختها عند أخيه عتبة، فلما نزلت هذه السورة قال أبو لهب لهما: رأسي ورأسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد ﷺ فطلقاهما إلاَّ أن عتيبة المصغر كان قد أراد الخروج إلى الشام مع أبيه فقال: لآتين محمدا عليه الصلاة والسلام وأوذينه فأتاه فقال: يا محمد إني كافر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل تجاه رسول الله ﷺ ولم يصب عليه الصلاة والسلام شيء وطلق ابنته أم كلثوم فأغضبه عليه الصلاة والسلام بما قال وفعل فقالﷺ: (اللهم سلط عليه كلباً من كلابك)[٣] وكان أبو طالب حاضراً فكره ذلك وقال: ما أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع إلى أبيه ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلاً فاشرف عليهم راهب من دير وقال لهم: إنَّ هذه الأرض مسبعة، فقال أبو لهب: أغيثوني يا معشر قريش في هذه الليلة فأني أخاف على ابني من دعوة محمدﷺ فجمعوا جمالهم وأناخوهم حولهم خوفاً من الأسد فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى أتى عتيبة فقتله، وهلك أبو لهب نفسه بالعَدَسَة[٤] بعد وقعة

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

(٢) صحيح البخاري: ٧٨٧/٤ برقم (٤٤٩٢) باب سورة الشعراء. ومسلم: ١٣٤/١ برقم (٥٢٩) باب في قوله تعالى ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ﴾.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٥٨٨/٢ برقم (٣٩٨٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) قالَ اللَّيْثُ: العَدَسَةُ: بَثْرَةٌ صَغِيرَةٌ شَبِيهَةٌ بالعَدَسَة تَخْرُجُ بالبَدَنِ مُفَرَّقَةً كالطّاعُونِ فَتَقْتُلُ غالِباً،

بدر لسبع ليالٍ فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثاً حتى أنتن فلما خافوا العار استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه. وفي رواية: حفروا له حفرة ودفعوه بعود حتى وقع فيها فقذفوه بالحجارة حتى واروه. وفي أُخرى: لم يحفروا له وإنما أسندوه لحائط وقذفوا عليه الحجارة من خلفه حتى ثوى فكان الأمر كما أَخبر به القرآن(١). أَمَّا زوجته فقد ذُكر أنها ماتت يوم ماتت مخنوقة بحبل حملت به حزمة حطب(٢)، وعلى آية حال فإنَّ الخبر الغيبي في هذا أَنّه أخبر أنهما في النار ويقتضي هذا موتهما على الكفر(٣).

المثال الثاني: أَبو جهل نزل بحق أبي جهل التهديد والوعيد:

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾(٤)، قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية وما بعدها في أبي جهل وهو قول ابن عباس، ومقاتل، ومجاهد، وابن زيد(٥) وذكر أبو حيان الأندلسي أنَّ هذا قول الجمهور وأنَّ الآية التي بعدها كادت أن تصرح به في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ فإنها كانت مشيته ومشية قومه بني مخزوم، وكان يكثر منها، وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء(٦).

وقَلَّما يسْلَم منها. تاج العروس، للزبيدي: ٢٣٦/١٦.

(١) ينظر: روح المعاني: ٢٦٢/٣٠. وينظر: أنوار التنزيل: ١١٧٨/٢.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٢٦٥/٣٠.

(٣) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: ٢٧٨.

(٤) سورة القيامة، الآية ٣١-٣٥.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٣/٤. وجامع البيان: ٢٩٩/٢٩. والجامع لأحكام القرآن: ١١٣/١٩. والتسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي: ٤٣٥/٢. والبحر المحيط، لأبي حيان: ٣٨١/٨.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٣٨١/٨.

فقوله ﷻ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ أي لم يصدق أبو جهل ولم يصل[١]. وقيل: يرجع هذا إلى الإنسان في أول السورة وهو اسم جنس[٢]. وقوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ (هَذَا وَعِيدٌ عَلَى وَعِيدٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لأَبِي جَهْلٍ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِلتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيد)[٣]. فعن قتادة قَالَ: (أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، يَعْنِي بِيَدِ أَبِي جَهْلٍ، فَقَالَ: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ وَرَبُّكَ فِيَّ شَيْئًا، إِنِّي لأَعَزُّ مَنْ مَشَى بَيْنَ جَبَلَيْهَا؛ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: لا يُعْبَدُ اللهُ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ، وَضَرَبَ اللهُ عُنُقَهُ، وَقَتَلَهُ شَرَّ قِتْلَةٍ)[٤]، ومات أبو جهل فكان مصيره إلى النار قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[٥]، وعن عكرمة قال: (لقي النبي ﷺ أبا جهل فقال أبو جهل: لقد علمت أني امنع أهل البطحاء، وأنا العزيز الكريم، قال: فقتله الله يوم بدر وأذلهُ وعيَّره بكلمته ونزل فيه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾)[٦].

المثال الثالث: الأخنس بن شريق:

روى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ سورة الهمزة نَزَلَتْ فِي الأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ وَكَانَ يَلْمِزُ النَّاسَ وَيَعِيبُهُمْ مُقْبِلِينَ وَمُدْبِرِينَ[٧] وبه قال عطاء والكلبي[٨] قال الله ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٣/٤. وجامع البيان: ٢٩٩/٢٩. والجامع لأحكام القرآن: ١١٣/١٩. والتسهيل لعلوم التنزيل: ٤٣٥/٢. والبحر المحيط: ٣٨١/٨.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١١٣/١٩.
(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي: ١٨٧/٥.
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره: ٨٢/٢٤. وابن أبي حاتم: ٣٣٨٩/١٠.
(٥) سورة الدخان، الآيات ٤٧-٤٩.
(٦) أسباب النزول: ٢٩٤.
(٧) الجامع لأحكام القرآن: ١٨٣/٢٠.
(٨) التفسير الكبير: ٢٨٣/٣٢.

ٱلۡحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ﴿٩﴾﴾[١].

وقد اختلف المفسّرون هل نزلت في حقِّ شخصٍ بعينهِ، أم نزلت عامّة؟ على قولين: أحدهما: نزلت في حقِّ شخصٍ بعينهِ.

وفيه ستة أقوال:

أحدها: الأخنس بن شريق، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال السّدّيّ، وابن السّائب. والثاني: العاص بن وائل السّهمي، قاله عروة. والثالث: جميل بن عامر، قاله ابن أبي نجيح. والرابع: الوليد بن المغيرة، قاله ابن جريج، ومقاتل. والخامس: أميّة بن خلف، قاله ابن إسحاق. والسادس: أبيّ بن خلف، حكاه الماوردي.

والقول الثاني: أنها نزلت عامّة لا في شخص بعينه، قاله مجاهد[٢].

واختار الإمام الطبري –رحمه الله– وغيره: كونها مرسلة على العموم من غير تخصيص، فقال: (والصواب من القول في ذلك أن يقال إنَّ الله عمَّ بالقول كل همزة لمزة كل من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها سبيله كائناً من كان من الناس)[٣].

وقال الزمخشري: (ويجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً، ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه، فإنَّ ذلك أزجر له وأنكى فيه)[٤]. والشاهد هنا: أنَّ الأخنس بن شريق مات على كفره، وتوعده الله بإلقائه بالحطمة على قول من قال: أنها نزلت في الأخنس بن شريق.

المثال الرابع: النضر بن الحارث:

---

(١) سورة الهمزة.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٢٩٣/٣٠. وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي: ٤٨٨/٤. والتفسير الكبير: ٢٨٣/٣٢. والجامع لأحكام القرآن: ١٨٣/٢٠. وتفسير القرآن العظيم: ٥٤٩/٤.

(٣) جامع البيان: ٢٩٣/٣٠.

(٤) الكشاف: ٨٠٢/٤ .

قال الله ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ ﴾[١]، ذكر الواحدي في أسباب النزول أنَّ هاتين الآيتين نزلتا فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ تَاجِرًا إِلَى فَارِسَ فَيَشْتَرِي أَخْبَارَ الأَعَاجِمِ فَيَرْوِيهَا وَيُحَدِّثُ بِهَا قُرَيْشًا وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ مُحَمَّدًا يُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثِ عَادٍ وَثَمُودَ، وَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثِ رُسْتُمَ وَإِسْفِنْدِيَارَ وَأَخْبَارِ الأَكَاسِرَةِ، فَيَسْتَمِلحُونَ حَدِيثَهُ وَيَتْرُكُونَ اسْتِمَاعَ الْقُرْآنِ. فَنَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الآيَةُ قَالَه الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ[٢].

المثال الخامس: الوليد بن المغيرة المخزومي:

الوليد بن المغيرة من وجهاء قريش وصناديدهم؛ ولذلك لُقِّبَ الوحيد وريحانة قريش، قد أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعَمِ الدُّنْيَا، فَكَفَرَ بِأَنْعُمِ اللَّهِ، وَبَدَّلَهَا كُفْرًا، وَقَابَلَهَا بِالْجُحُودِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَالافْتِرَاءِ عَلَيْهَا، وَجَعَلَهَا مِنْ قَوْلِ الْبَشَرِ وفيه نزل[٣]: ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦ ﴾[٤].

وَالْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ، وَإِنْ كَانَ النَّاسُ خُلِقُوا مِثْلَ خَلْقِهِ. وَإِنَّمَا خُصَّ بِالذِّكْرِ لاخْتِصَاصِهِ بِكُفْرِ النِّعْمَةِ وَإِيذَاءِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاة السَّلامُ، وَكَانَ يُسَمَّى الْوَحِيدَ فِي قَوْمِهِ[٥]، قال بهذا: مقاتل، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، والضحاك[٦]. فعن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن

---

(١) سورة لقمان، الآيتان ٦-٧.
(٢) ينظر: أسباب النزول: ٢٦٥.
(٣) ينظر: الكشاف: ٦٥٠/٤. وتفسير القرآن العظيم: ٢٦٥/٨.
(٤) سورة المدثر، الآيات ١١-٢٦.
(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٧١/١٩.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩١/٤. وجامع البيان: ١٥٧/٢٩.

وكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه، فإنَّك إن أتيت محمداً تتعرض لما قبله، فقال: قد علمت قريش إني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ إنك منكر له وكاره، قال: وماذا أقول؟ فوا الله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني. ولا أعلم برجزها وبقصيدها مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه معذق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه، فقال: هذا سحر يؤثر يأثره على غيره فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ الآيات كلها(١).

ومضامين الإعجاز في النصوص القرآنية المتقدمة المذكورة آنفاً يتلخص بما هو آت:

إنَّ الباري ﷻ قد أخبر عن مصاير عدد من المشركين كأبي لهب، وأبي جهل، والأخنس بن شريق، والنضر بن الحارث، والوليد بن المغيرة المخزومي، فهؤلاء قد أهلكهم الله ﷻ بعد أن توعدهم بنزول العذاب، فأبو لهب أهلكه بالعَدَسَة بعد وقعة بدر لسبع ليالٍ فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثاً حتى انتن فلما خافوا العار استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه، فصدقت نبوءة القرآن بأنه سيكون من الهالكين؛ لأنَّ التباب عند اللغويين معناه: (الخُسْرانُ والهَلاكُ)(٢).

(١) المستدرك على الصحيحين: ٥٥٠/٢ برقم (٣٨٧٢). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري. وشعب الإيمان: ١٥٦/١ برقم (١٣٤)، قال البيهقي: هكذا حدثناه موصولاً. وأسباب النزول: ٣٥١، ٣٥٢. ولباب النقول: ٢٠٥/١، ٢٠٦.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٩٠/١ مادة «تبب».

أمَّا أبو جهل فقد قتله الله يوم بدر وعيره بكلمته، فقد كان يقول: إني لأمنع أهل البطحاء، وأني أنا العزيز الكريم، فوبخه الله تعالى على مقولته تلك وهذا الأسلوب يسمى عند البلاغيين: «أسلوب التهكم» وصدق وعيد الله حين هدده وتوعده بقوله: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾[١].

أمَّا الأخنس بن شريق فقد مات على كفره ولم يسلم وصدق حكم القرآن عليه بأنه سيكون من أهل النار وسيلقى في الحطمة.

أمَّا النضر بن الحارث فقد بشره ربنا ﷻ بالعذاب المهين بما يناسب غروره واستكباره، وإطْلاقُ بالبشارة هنا: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ من باب الاستعارة التهكمية؛ لأنَّ البشارة المستعملة في الخير استعملت في الشر تهكماً وسخرية[٢] ومضمون الإعجاز هنا يتلخص بأن هذا المشرك سيكون مآله الموت على الكفر والضلال، فصدق وعيد الله تعالى عن مصيره وما ستكون عاقبته.

أمَّا الوليد بن المغيرة المخزومي فكان ذا مال وولد، وقد أهلك الله سبحانه ماله وولده، قال القرطبي –رَحِمَهُ اللهُ تعالى–: (وقد كان عند نزول الآية ذا مال وولد، على ما يقتضيه قوله الحق: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ ثمَّ أهلك الله سبحانه ماله وولده، وانقطع نسله)[٣]، وبذلك صدق إخبار القرآن عنه بأنه سيهلك وسيزول ماله وينقطع نسله.

(١) سورة القيامة، الآية ٣٤.
(٢) التحرير والتنوير: ١٤٥/٢١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٧٤/١.

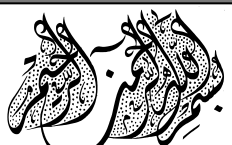

الخاتمة

بعد هذا العرض لما تضمنه هذا البحث من مضامين إعجازية في الإخبار عن الغيبيات، توصلت إلى النتائج الآتية:

١. أسفر هذا البحث وبالأدلة الصريحة أنَّ أحد مضامين ووجوه إعجاز القرآن العظيم المهمة هي ما انْطَوَى عليه من الإخبار عن الغيبيات.

٢. وجدت أن القرآن حافلٌ بالإخبار الغيبية الماضية، وأن مضامين الإعجاز فيها وبإيجاز شديد أنَّ النبيﷺ كان رجلاً أمياً لم يقرأ كتاباً قط، ولم يطلع على علوم الأقدمين؛ لكنه جاء بأخبار ماضية كقصص الأنبياء والمرسلين، وما حلَّ ببعض الأقوام من جراء طغيانهم وتمردهم على الشرائع، فدَّلَّ كلُ ذلك على إعجاز القرآن في إخباره عن تلك الغيوب، فضلاً عن دلالتها على صدق الرسولﷺ.

٣. القرآن الكريم أخبر عن الموجودات الغائبة عنا مما لا يدرك بالحس أو المشاهدة كإخباره عن الملائكة والجن، والجنة والنار وغير ذلك، فكان ذلك دليلاً على الإعجاز؛ لأنَّ تلك الأمور ليست بمستطاع البشر أن يحيطوا بها علماً.

٤. كشف القرآن عن مؤامرات المنافقين والكافرين، وكانوا حريصون كل الحرص ألاَّ يطلع عليها أحد من الناس، فجاء القرآن بأخبارهم وكشف سترهم ونياتهم، فكان ذلك من الأخبار الغيبية الحاضرة في زمانهم.

٥. قد جاء القرآن بجوازم الأخبار المستقبلية المؤكدة، فوقعت تلك الإخبار طبقاً لما أعلن عنه القران وتحقق ما أخبر عنه: كإخباره عن انتصار الروم على الفرس، والمؤمنين على الكافرين، وعن مصاير عدد من المشركين والكافرين وما سيحل بهم من هلاك كابي جهل وأبي لهب والوليد بن المغيرة وغيرهم مما دلل على إعجاز القرآن وعظمته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

١. أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق أيمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢. إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م.

٣. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ«تفسير البيضاوي»، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٥هـ)، تقديم محمود عبد القادر الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٥. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

٦. بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.

٧. بينات المعجزة الخالدة، د. حسن ضياء الدين عتِر، دار النصر، سوريا ط١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٨. تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

٩. تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٠. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

١١. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٢. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.
١٣. تفسير ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
١٤. تفسير أبي السعود «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٥. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.
١٦. التفسير الكبير المسمى «مفاتيح الغيب»، محمد بن عمر التميمي الرازي (ت ٦٠٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
١٧. تفسير مجاهد بن جبر المخزومي (ت ١٠٤هـ)، تحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، ط١، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
١٨. تفسير مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت ١٥٠هـ)، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٩. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش (الطبعة الثانية دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).
٢٠. جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٢١. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الدمشقي (ت ١٣٣٥هـ)، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٢٢. دراسات في عُلوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الرياض، ط١٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٣. دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢٤. الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق محمد خلف الله أحمد، والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.
٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٦. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٧. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٢٨. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
٢٩. سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البندراي، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٣٠. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق محمد السعيد بسيوني، دار الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
٣١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، تقديم وتحقيق عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٣٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣٣. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٥. صفوة التفاسير، محمد بن علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٣٦. الظاهرة القرآنية، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت ١٣٩٣هـ)، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٤، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٣٧. علم الإعجاز القرآني بين الفن والتأريخ، د. خليل رجب حمدان الكبيسي مركز عبادي صنعاء، اليمن، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٣٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٣٩. فتح القدير الجامع بين فَنَّي الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت.
٤٠. فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلاذُري (ت ٢٧٩هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.
٤١. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
٤٢. الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٤٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ، دار صادر، بيروت، ط١.
٤٤. مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم دار المسلم، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٤٥. مجلة الوعي الإسلامي، محمود إبراهيم طيرة، العدد ٢٤٨، لسنة ١٤٠٥هـ.
٤٦. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٤٧. المدخل إلى الدراسات القرآنية، علي الحسني الندوي (ت ١٤٢٠هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٤٨. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٤٩. مسند أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر.
٥٠. مشارق الأنوار، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة، ودار التراث.
٥١. معالم التنزيل في تفسير القرآن، محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
٥٢. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٥٣. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار الفكر، بيروت.
٥٤. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٥٥. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٥٦. نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، د. أحمد سيد محمد عماد، دار الفكر، سوريا، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥٧. النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.

مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية ISSN-2071-6028